

دولة المراطين

لحضرة المجاهد التونسي الكبير السيد محبي الدين القليبي

تحدثت إلى القراء في العدد السابق من هذه المجلة عن الرباط في سبيل الله وعن المراطين - وأتحدث إليهم في هذا العدد عن الدولة التي أقامها المراطون وضمت الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي إلى سلطتها، ووقفت بذلك - فترة طويلة من الزمن - تقدم الأسبانيين وعطلت عملهم لإجلاء المسلمين عن بلاد الأندلس.

كان ظهور هذه الدولة على يد جماعات بربرية من قبيلة (المتونة) الشهيرة بين قبائل البربر الكبيرة التي كان لها دور بارز في التاريخ الإسلامي بشمال أفريقيا، وكان مما امتازت به هذه القبيلة أن رجالها يضعون النقاب على وجوههم فلا ترى من وجه الواحد منهم إلا عينيه - ولا يرفع النقاب إلا عند ما يتوضأ أو يتيمم للصلاة، فعندما يستقبل الخلاء حتى لا يشاهد أحد وجهه، أما الطعام والشراب فيدخله من تحت النقاب إلى فمه. ولذلك سموا بالملثمين - وعلى العكس من ذلك المرأة عندهم، فهي سافرة السفور المحتشم، وهو كشف الوجه، والكفين.

فالرجل يعمل في التجارة بواسطة قواقل الجمال، يكدر لاكتساب الرزق، ضاربا في الصحراء الأفريقية الكبرى، مستهينًا بحرها المحرق، وطمئنها القاتل، وسباعها الضارية، و تعاليبها وأفاعيها التي تحمل في أنفها العطب - فالرجال يحملون على الجمال البصائر المختلفة من أثواب وأقوات وغيرها من عواصم مراكش والجزائر وتونس ولبيبا الغربية من الصحراء إلى صحاري أفريقيا ومجاهل سوادينها يبيعوها مقايضة ببصائر أخرى، هي مصنوعات ومواد أولية يحملونها ليبيعوها إلى تجار تلك العواصم - كريش النعام، وناب الفيل، وجلود التغاين والسباع والمذبوحة - فهم عمار الصحراء، وقادة أسطولها التي تسريح في الرمال.